



مذريع

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

www.almadasupplements.com

العدد (4946) السنة الثامنة عشرة الاربعاء (19) أيار 2021

منارات  
manarat

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة للإعلام والثقافة والفنون

القدس في عيون الرحالة قديماً

« 2

جبرا إبراهيم جبرا تحدث عن القدس ..  
مدينة أشبه بثريات متلاصقة



شيء عن الرصافي  
في القدس سنة ١٩٢٠

« 6

واسيني الأعرج يكتب  
سوناتا أشباح القدس

« 4

# القدس في عيون الرحالة قديماً

عيداء أبو خيران



اشتهر عددٌ من رحالة بلاد الشام والأندلس والمغرب العربيّ ممّن زاروا القدس وركزوا عليها في أدبهم ومذكراتهم حظيت المدن الفلسطينية وعلى رأسها مدينة القدس باهتمام بالغ ومثير في الأدب العربيّ بأشكاله المختلفة على مرّ التاريخ، ولا ينحصر ذلك الاهتمام على السنين الأخيرة وما تواجهه المدينة من احتلال غاشم وظروف صعبة، بل يرجع الأمر إلى مئات من السنين خلت، نظراً للمكانة التاريخية والإسلامية التي حملتها المدينة دوماً، فجذبت أنظار الأدباء والشعراء والرحالة.



لذلك كانت المدينة المقدّسة موضع اهتمام للرحالة ومقصدًا لهم وموطناً للاستكشاف وطلب العلم والمجاورة، إذ برز نوع من الأدب الإسلامي يدعو ويهتم بزيارة القدس والتعرّف إلى مقدّساتها ومعالمها الإسلامية، ويبحث في فضائلها وفضائل علمائها ويسقط الضوء على سكانها وعاداتهم وتقاليدهم ومظاهر حياتهم المختلفة. يمكن تصنيف أدب الرحلات العربيّ إلى أنواع عديدة، قد يكون أحدها وفقاً لدافع الرحلات والاستكشافات، فهناك رحلات الحج أو ما كان يُعرف بالرحلات الحجازية، وقد تميّز بها المغاربة والأندلسيون على سائر المسلمين، وتركوا تراثاً غنياً غاية في الأهمية ودقة الوصف والإفادات الفريدة. وهناك الرحلات الجغرافية التي تختص باكتشاف الأماكن وتسجيل الملاحظات عن أوصافها بما فيها من تضاريس وما يرتبط بها من معالم جغرافية، وقد برع فيه هذا النوع عدد كبير من الرحالة الذين اهتموا بالسفر وجابوا الدول والديار.

وقد اشتهر عددٌ من رحالة بلاد الشام والأندلس والمغرب العربيّ ممّن زاروا القدس وركزوا عليها في أدبهم ومذكراتهم، منهم أبو بكر بن العربي الذي زارها

سنة ٤٨٥ هـ وابن بطوطة الذي زارها سنة ٦٦٢ هـ، ولعل من أشهرهم أيضاً الشيخ محيي الدين بن عربي. من أقدم ما ورد عن القدس في أدب الرحلات كان ما كتبه الرحالة الفارسيّ "ناصر خسرو" في كتابه الذي ألف وترجم للعربية في القرن الرابع للهجرة "زاد المسافر"، واستغرقت رحلته في القدس وبلاد الشام ما يقارب السبع سنوات، جاب فيها البلاد وتعرّف على العباد.

وقد كتب خسرو واصفاً المدينة: "هي مدينة مشيئة على قمة الجبل، ليس بها ماء غير الأمطار، ورساتيقها ذات عيون، وأما المدينة فليس بها عين، فإنها على رأس صخري، وهي مدينة كبيرة كان بها عشرون ألف رجل، وبها أسواق جميلة وأبنية عالية، وكل أرضها مبلطة بالحجارة، وقد سواها الجهات الجبلية والمرتفعات وجعلوها مسطحة بحيث تغسل الأرض كلها وتنظف حين تنزل الأمطار. وفي المدينة صناعات كثيرة، لكل جماعة منهم سوق خاصة، والجامع شرقي المدينة وسوره هو سورها الشرقي، وبعد الجامع سهل مستوي يسمى "الساهرة"، يقال أنه سيكون ساحة القيامة والحشر، ولهذا يحضر إليه خلق كثيرون من أطراف العالم ويقومون به حتى يموتوا فإذا جاء وعد الله كانوا بأرض الميعاد اللهم عفوك ورحمتك بعبيدك ذلك اليوم يا رب العالمين". وعلى حافة هذا السهل قرافة عظيمة، ومقابر كثير من الصالحين يصلي بها الناس ويرفعون بالدعاء أيديهم فيقضي الله حاجاتهم، اللهم تقبل حاجاتنا واغفر ذنوبنا وسيئاتنا وارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين وبين الجامع وسهل الساهرة واد عظيم الانخفاض كأنه خندق وبه أبنية كثيرة على نسق أبنية الأقدمين...".

أما في وصف المسجد الأقصى فقد كتب خسرو: "وقد بُني المسجد في هذا المكان لوجود الصخرة به، وهي الصخرة التي أمر الله عز وجل موسى عليه السلام أن يتخذها قبلة، فلما قضى هذا الأمر واتخذها موسى قبلة لم يعمر كثيراً بل عجلت به المنية، حتى إذا كانت أيام سليمان عليه السلام وكانت الصخرة قبلة، بنى مسجداً حولها بحيث أصبحت في وسطه، وظلت الصخرة قبلة حتى عهد نبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم، فكان المسلمون يولون وجوههم شطرها إلى أن أمرهم الله تعالى أن يولوا وجوههم شطر الكعبة وسيأتي وصف ذلك المكان".

ويتابع خسرو قائلاً: "وأرض المسجد مغطاة بحجارة موثوقة إلى بعضها بالرصاص، والمسجد شرق المدينة والسوق، فإذا دخل السائر من السوق فإنه يتجه شرقاً فيرى رواقاً عظيماً جَمِيلاً ارتفاعه ثلاثون ذراعاً، وعرضه عشرون، وللرواق جناحان وواجهاتهما وإيوانه منقوشة كلها بالفيسفساء المثبتة بالجص على الصورة التي يريدونها وهي من الدقة بحيث تبهر النظر.

جل ما كتبه خسرو عن القدس والأقصى ممتع جذاب، يصحبك بجولة عبر التاريخ في المدينة المقدسة، ويسحرك

بوصفها في ذلك الزمان، ويشدك بحديثه عن معالمها الإسلامية والمسيحية وأسواقها وعيون مائها وسكانها وعاداتهم، إلى جانب زيارته لبعض القرى ومدينتي بيت لحم والخليل القريبة جغرافياً من القدس، والتي تحملان أيضاً مكانة دينية كبيرة لدى المقدسيين خاصة.

وأما الشريف الإدريسي، العالم المسلم وأحد كبار الجغرافيين في التاريخ ومؤسس علم الجغرافيا، فقد زار القدس أثناء الاحتلال الصليبي لها وكتب عنها في كتابه "نزهة المشتاق في اختراق الأفاق"، الذي استغرق تأليفه ١٥ عاماً حيث نهج فيه الإدريسي نهجاً جديداً عن غيره من الجغرافيين المسلمين، فقد وصف العالم ككل ثم قسمه إلى سبعة أقاليم وكل إقليم إلى عشرة أقسام رئيسية ثم وصف كل قسم ورسم له خريطة وتحاشى فيه الخلط بين التاريخ والجغرافيا وظل كتابه مرجعاً لعلماء أوروبا أكثر من ثلاثة قرون.

ومن جملة ما قاله الإدريسي في بيت المقدس: "بيت المقدس مدينة جليلة قديمة البناء، وكانت تسمى إيلياء، وهي على جبل يصعد إليها من كل جانب، وهي في ذاتها طويلة وطولها من المغرب إلى المشرق، وفي طرفها الغربي باب المحراب، وهذا الباب عليه قبة داوود عليه السلام، وفي طرفها الشرقي باب يسمى باب الرحمة، وهو مغلّق لا يفتح إلا من عيد الزيتون مثله، ولها من جهة الجنوب باب يسمى باب صهيون، ومن جهة الشمال باب عمود الغراب".

من جهته، فقد كتب الشاعر الصوفي والمؤلف الشهير والرحالة عبد الغني النابلسي دمشقي، عن رحلته من دمشق إلى بيت المقدس وما حو اليهما ذهاباً وإياباً عام ٦٦٨م، فوصف سور القدس التاريخي العتيق قائلاً: "سور بيت المقدس سور جديد متين مشيد قوي الأركان، عظيم البنيان، يحيط بالبلد كلها، وعرضا وسهلها مبني بالشيد والحجر المنحوت وفي داخله جميع الأماكن والبيوت، وقد أخبرنا أنه من بناء السلطان الملك المظفر سليمان خان ومن المعروف أن الملك المعظم عيسى بن العادل أخ صلاح الدين أرسل من دمشق كما جاء في أبي الفداء، والحجّارين والنقابين إلى القدس فخرّب أسواره وكانت قد حصنت للغاية وذلك على زعمه خوفاً من استيلاء الفرنجة عليها".

وأما الرحالة الطنجي ابن بطوطة الملقب بأمير الرّحّالين المسلمين، فقد انطلق بجوب العالم، ومكث في ترحاله أكثر من عشرين سنة زار فيها بيت المقدس واستكشف مساجدها ومعالمها، وكانت له فيها هذه الذكريات التي سجلها في رحلته، حيث يقول:

"سافرت من الخليل إلى القدس، فزرت في طريقي إليه تربة يونس -عليه السلام- وعليها بنية كبيرة ومسجد، وزرت أيضاً بيت لحم، موضع ميلاد عيسى -عليه السلام- وبه أثر جذع النخلة، وعليه عمارة كثيرة،

والنصاري يعظمونه أشد التعظيم، ويصيّفون من نزل به".

ويتابع ابن بطوطة قائلاً: "أما قبة الصخرة فهي من أعجب المباني وأتقنها وأغربها شكلاً، قد توافر حظها من المحاسن، وأخذت من كل بديعة بطرف، وهي قائمة على نشر في وسط المسجد، يصعد إليها في درج رخام، ولها أربعة أبواب، والدائر بها مفروش بالرخام أيضاً، محكم الصنعة، وكذلك داخلها. وفي ظاهرها وباطنها من أنواع التزيين، ورائق الصنعة ما يعجز الوصف، وأحضر ذلك مغشى بالذهب، فهي تتلألأ نورا، وتلمع لمعان البرق، يحار بصر متأملها في محاسنها، ويقصر لسان رائيها عن تمثيلها. وفي وسط القبة الصخرة الكريمة، التي جاء ذكرها في الآثار، فإن النبي -صلى الله عليه وسلم- عرج منها إلى السماء، وهي صخرة صماء، ارتفاعها نحو قامة، وتحتها مغارة في مقدار بيت صغير، ارتفاعها نحو قامة أيضاً، ينزل إليها على درج.

وفي العصر العثماني، تعد الرحلة الأولى التي قام بها مصطفى البكري الصديقي إلى القدس عام ١٩٢٢ كصوفي خلوتي، من أهم الرحلات التي شهدتها القدس خلال القرن الثامن عشر، فقد قدم البكري معلومات غنية عن بعض الجوانب بعيداً عن الجغرافيا والتاريخ، لا سيما الجوانب الاجتماعية وبشكل خاص التصوف، كما رصد بعض العادات والتقاليد السائدة في المجتمع الفلسطيني في تلك الفترة.

ومن الجوانب الاجتماعية التي ذكرها الصديقي بعض الأخلاق الطيبة التي امتاز بها سكان المناطق التي زارها، أهمها الترحيب بالغرباء وإكرامهم، فكان لدى وصوله لبعض الأماكن يلقي ترحيباً واحتراماً من قبل الأهالي، فعندما وصل إلى مشارف مدينة القدس لأقاه الأهالي مرحبين به وبالركب الشامي. وعندما نزل بمنزل محمد الطوافي وصف العائلة بقوله: "وكانوا يكرمونا غاية الإكرام ويرافون علينا رافة الودة على طفلها". ولما وصل إلى قرية بيتونيا، أعجب بكرم أهلها، قال "وأكرمونا غاية الإكرام". كما حظي بالإكرام والترحيب لدى وصوله قرية بيت اكسا، فقال: "فقابلنا أهلها بالإكرام واعتنوا بنا الاعتناء التام".

إلى جانب ما ورد في الأدب العربيّ من ذكر لبيت المقدس، كانت فلسطين والقدس محط أنظار الرحالة والفنانين الغربيين عبر العصور، خاصة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وبداية القرن العشرين، وذلك للوقوف على ما بها من أثار وعمارة ومعالم دينية، إلى جانب مواطن الأحداث التي تضمنها تلك البلاد المقدسة، فقد زارها الكثير من الرحالة والأدباء وكتبوا عنها، وأخذت حيزاً كبيراً من رحلاتهم وأشعارهم، بالإضافة إلى عدد كبير من الرسامين والمصورين الذي قصدوا البلاد لرسم معالمها وجوانب من حياتها وتصويرها.

عن موقع اضاءات





# جبرا إبراهيم جبرا تحدث عن القدس .. مدينة أشبه بثريات متلاصقة



بالأنقاض والأسلاك الشائكة.

ومن باب العمود حين ينظر المرء غرباً، يرى الدير الكبير عبر الأسلاك وقد تحول إلى خرائب رهيبية في معركة عنيفة وقعت بين العرب واليهود عام ١٩٤٨، حين أراد اليهود أن يجعلوا منه منطلقاً لاقتحام الباب الجديد والمدينة القديمة، فجابهم المناضلون والجيش العربي مجابهة ضارية ردتهم على أعقابهم.

لقد تحولنا فيما بعد إلى حي آخر يقع بين شارع مآذن الله والشماعة. وكانت القدس منذ قبل الخراب الشهير عام ١٩٣٦، في توسع شديد سريع، ثم استؤنف هذا التوسع بعد الخراب.

وفي هذه الأثناء كان قد تم بناء الكلية العربية على جبل المكبر جنوبي القدس، وكان عميدها الأستاذ أحمد سامي الخالدي. وغدت المسيرة اليومية بالنسبة إلي تتجه جنوباً بعد أن يركب المرء باص البقعة الفوقا، ثم يسير وراء معسكر للجيش البريطاني إلى أن يصل قمة جبل المكبر حيث قامت الكلية وسط فراغات فسيحة، بعضها ملاعب تحفها المئات من مشاتل الصنوبر، وقد نمت الفسائل إلى شجيرات تحت سمعنا وبصرنا ما بين ١٩٣٥ و ١٩٣٨.

## هكذا صارت خراباً

قضيت سنتي الأخيرة داخلها في الكلية العربية. ولن أنسى منظر القدس عبر وادي الرابية وهي في النهار مغمورة في غمام من البفسيج وهي في الليل تنقد وتتألاً.

كانت الكلية العربية يومئذ، كعهدها دائماً إلى أن أتت عليها النكبة، تجمع حوالي مئة وعشرين طالباً ينتم انتقاؤهم من بين المبرزين في مدارس فلسطين كلها. وكان معظمهم يسترحن من السير الشاق قبل بلوغهن «سوق الخضرة» في باب الخليل، فيصدر عنهن وعن دوابهن لغط كثير.

## إضراب وتوسع

من هناك أيام التلمذة، كنت أصدع كل يوم «الجورة» إلى باب الخليل وهو يموج بالسيارات والباصات بـ «صحارات» الفواكه والخضار، بالبائعين والمشترين والحمالين. ثم أذهب إلى المدرسة الرشيدية، إما عن طريق باب الخليل والبلدة القديمة، أو عن طريق شارع يافا، إذ أصدع إلى «البوسطة القديمة».

هكذا كنا نصف المدينة المشعشة في الظلام عبر الوادي الذي كان يدعى في الأزمنة الغابرة بوادي جهنم، ونحن نتحدث دون انقطاع في كل ما يهم الشباب ولاسيما الأدب والسياسة، فضلاً عن دروسنا العائنية التي كان بعضنا يحفظها غيباً.

وذلك بأن يمشي ويمشي حول الملاعب الفسيحة وهو «يصم» الساحل نهاية. بعد ذلك بضعة سنوات تحولنا مرة أخرى. وكان تحولنا هذه المرة غرباً إلى ضاحية القطمون على تلة تشرف على منحدرات الصخر من ناحية، تبلغ وادي فيه الطريق إلى قرية المالحه.

ومنحدرات من ناحية أخرى مليئة بالمنازل الحجرية الجميلة التي امتازت بها القدس. لقد بلغت المدينة في أوائل العام ١٩٤٧ أقصى توسعها ورونقها، غير أن الإرهابيين الصهاينة كانوا قبل ذلك بثلاث سنوات قد شرعوا في تدمير القدس الجديدة وفق خطة وحشية:

تبدأ أولاً بنسف المقرات الحكومية، الواحد تلو الآخر (وكان من أشهر الأماكن التي نسفوها على من فيها حيناً والسكرتارية العامة للحكومة في فندق الملك داود). وبعد إعلان التقسيم في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧، أخذوا ينسفون منازل العرب ليلاً. ولا سيما في حي القطمون الذي كان مجاوراً لحي رحافيا اليهودي، إرهاباً للسكان ودفعهم إلى الهرب. ثم جعل العرب يردون على التحدي، وما هي إلا بضعة أشهر حتى كانت القدس الجديدة مناهة مخيئة من أسلاك شائكة وبيوت مهجورة، وخرائب متناثرة التخاطب بدمدمة الرصاص ليلاً نهاراً. (...)

عن كتاب "البئر الأولى"

غشاء معدنياً وستارة صغيرة. وكان من عاداتي ان استيقظ قبل الفجر على أصوات الغالاحات القادمة من القرى المجاورة حاملات سلال الخضرا إلى السوق، وقد جلسن قرب نافذتنا العليا هذه يسترحن من السير الشاق قبل بلوغهن «سوق الخضرة» في باب الخليل، فيصدر عنهن وعن دوابهن لغط كثير.

من هناك أيام التلمذة، كنت أصدع كل يوم «الجورة» إلى باب الخليل وهو يموج بالسيارات والباصات بـ «صحارات» الفواكه والخضار، بالبائعين والمشترين والحمالين. ثم أذهب إلى المدرسة الرشيدية، إما عن طريق باب الخليل والبلدة القديمة، أو عن طريق شارع يافا، إذ أصدع إلى «البوسطة القديمة».

هكذا كنا نصف المدينة المشعشة في الظلام عبر الوادي الذي كان يدعى في الأزمنة الغابرة بوادي جهنم، ونحن نتحدث دون انقطاع في كل ما يهم الشباب ولاسيما الأدب والسياسة، فضلاً عن دروسنا العائنية التي كان بعضنا يحفظها غيباً.

وذلك بأن يمشي ويمشي حول الملاعب الفسيحة وهو «يصم» الساحل نهاية. بعد ذلك بضعة سنوات تحولنا مرة أخرى. وكان تحولنا هذه المرة غرباً إلى ضاحية القطمون على تلة تشرف على منحدرات الصخر من ناحية، تبلغ وادي فيه الطريق إلى قرية المالحه.

ومنحدرات من ناحية أخرى مليئة بالمنازل الحجرية الجميلة التي امتازت بها القدس. لقد بلغت المدينة في أوائل العام ١٩٤٧ أقصى توسعها ورونقها، غير أن الإرهابيين الصهاينة كانوا قبل ذلك بثلاث سنوات قد شرعوا في تدمير القدس الجديدة وفق خطة وحشية:

تبدأ أولاً بنسف المقرات الحكومية، الواحد تلو الآخر (وكان من أشهر الأماكن التي نسفوها على من فيها حيناً والسكرتارية العامة للحكومة في فندق الملك داود). وبعد إعلان التقسيم في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧، أخذوا ينسفون منازل العرب ليلاً. ولا سيما في حي القطمون الذي كان مجاوراً لحي رحافيا اليهودي، إرهاباً للسكان ودفعهم إلى الهرب. ثم جعل العرب يردون على التحدي، وما هي إلا بضعة أشهر حتى كانت القدس الجديدة مناهة مخيئة من أسلاك شائكة وبيوت مهجورة، وخرائب متناثرة التخاطب بدمدمة الرصاص ليلاً نهاراً. (...)

لقد سكنت أول الأمر في منخفض خارج السور تحت مشارف حي النبي داوود، كان يعرف باسم «جورة العناب» وهو من الأحياء الأولى التي أخذت تنشأ خارج القدس في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين.

ولقد شهدت فيها تحولاً من سوق للحويانات، تقام كل يوم جمعة، إلى منطقة صناعية نشأت فيها دكاكين الحدادين والنجارين والسباكين. وعملت أيام الصغر في أحد دكاكينها صيفين متواليين أبان العطلة المدرسية، لقاء قرشين ونصف القرش في اليوم. كان ذلك أوائل الثلاثينات.

كان بيتنا غرفة واحدة من بناية كبير طابقه الأرضي منخفض عن الطريق العام، ويتألف من حوش مربع مكتشف ينزل إليه بدرج، على جوانبه غرف تآكل فيها عائلة بأكملها. من باب غرفتنا كنت أرى مئذنة النبي داوود تطل علينا من شاهق.

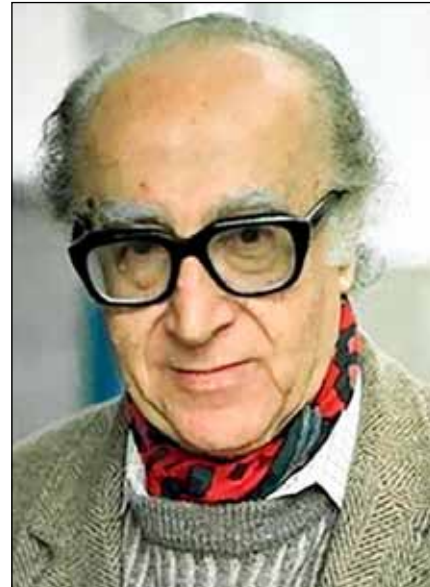
ولما لم يكن لهذه الغرفة إلا نافذة صغيرة قرب الباب كنا نراكم فيها كتبنا وأغراضنا المدرسية، فقد أذن لنا صاحب الدار أن نفتح ثغرة مربعة صغيرة في أعلى الجدار المقابل للباب تساعد في التهوية. فجاءت النافذة بمحاذاة الأرض من الطريق العام تماماً، ولم يكن مزقاً يومئذ، فجعلنا عليها

د

ان أول ما يجب أن يقوله المرء عن القدس هو انها مدينة عربية، عريقة في عروبته، رغم ان الصهاينة احتلوا نصفها الجديد. فنصفها الجديد المحتل العربي عروبة نصفها القديم، وعروبة بقية فلسطين المحتلة.

وعندما يتحدث أحد أبناء القدس عن مدينته يستحيل عليه أن يقصر الكلام على المدينة المسورة وما نشأ حولها من بناء وتوسع في فترة ما بعد النكبة. فالقدس بأرجائها كلها وحدة عضوية، من اللامنطق أن تشطر هذا الشطر المجرم. وما شطرها على النحو الحالي إلا صورة مصغرة للخرق العقلي الذي اجتزأ قسماً من فلسطين لليهود. وبالرغم من مرور الأعوام على هذا الظلم المسجد فإن المقدسي لن يستطيع أن يتصور مدينته دون النصف المحتل، بأحيائه العربية ومنازله العربية ولونه العربي.

د



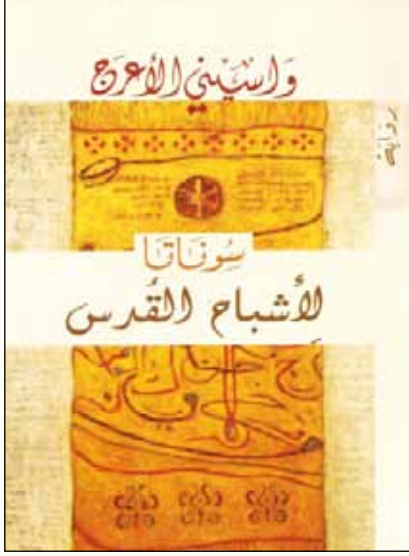




القدس مدينة تكفي الجميع، قلبها واسع دينها كبير، إيمانها متعدّد، وأشجارها تغطي كلّ العرايا، ومرابها ليست عمياء، وحيطانها ليست للبيع تسرد الرواية قصة الفقد والشوق إلى الوطن عبر رحلة الطفلة ميّ التي تغادر القدس إلى بيروت، ومن ثمّ إلى أمريكا، وهي طفلة ذات الثماني سنوات، لتكبر وتصبح فنانة تشكيلية وأماً لطفل اسمه "يوبا". تمرّ الأيام وتموت الأم "ميّ"، تاركة وصية بحرق جنتها وذرّ رفاتها في حارات القدس. وفي فصل بعنوان "كبرياء اللّون وهشاشة الفراشة"، يرفض السماح لميّ أن تدفن في القدس، لتقرّر وهبّ جسدها للنار، وهو نوعٌ من رمزية الاحتجاج على التعسّف ضدّ أصحاب الأرض الأصليين، فتحيي ميّ في ذاكرتها خالها المجنون بالحياة، وأمّها ذات الصوت المسروق، وتعيد أهل القدس من القبور: الجدّ والحبیب والأخوة، في دلالة على البقاء، وبقاء الأرواح أيضاً في موطنها الأصلي، لتنتثر الرفات والروح هناك في حواري القدس وفوق نهر الأردن، وتُدفن العظام في أمريكا.

# واسيني الأعرج يكتب سوناتا أشباح القدس

مصطفى شلش



والكبير". حتى الفعل الديني لدى ميّ ارتبط تماماً بالقدس؛ فهي تقرّ الإصحاح الرابع والعشرين لأنه يذكرها بجبل الزيتون، فتقول: "لم أكن أرى نيويورك، كنت منغمسة في أحياء القدس القديمة".

رحل جسد ميّ وظلت روحها هناك، في القدس، حيث تركتها. حصل بعدها ابنها على كتاباتها، وعمد واسيني للإشارة إلى أنّ رائحة الزيتون كانت تفوح من حاجياتها، فعلى الرغم من أنها لم تعد يوماً إلى القدس، إلا أنّ رائحتها لم تفارقها. تظهر معركة واسيني الأدبية من أجل فرض الواقع الفلسطيني على القدس، حتى ولو يسكنها رفات الموتى، فيما سيقوم به "يوبا"، فقد وضع رفات أمّه في جرار، وزعها على مقابر الأسرة، وأعاد كتابة الأسماء على شواهد القبور حتى لا تمحى الرياح.

كما أكثر الأعرج من وصف الأماكن وأعطاهم صبغة اجتماعية فلسطينية لأحداث حول الحبّ والفشل والانتكسار والفجعية، وحتى الدين. حيث لجأ إلى الرمزية الصوفية دلالة على الحبّ الشديد، وأعطاهم للجدّ الذي مات منذ زمن بعيد، دلالة على غياب هذه السّاحة وهذا الحبّ للقدس عن المشهد الحالي.

ولم يغفل الأعرج أن يسلط الضوء على ممارسات الاحتلال الصهيوني من خلال تجربة "يوبا"، وكيف يفرق بين العربيّ وحامل الجنسية الأخرى في محيط القدس، وتحديدًا عند حائط البراق، حيث دار حديث قصير جداً بينه وبين جنديّ صهيوني كان يحمي مصلين صهاينة، أظهر فيه الأخير احتراماً كبيراً ليوبا لأنه أمريكي وليس عربياً. ووفق الكاتب، إلى حد ما، في توظيف الدلالات المقاومة وترسيخ أثر الفعل المقاوم في سياق الحديث عن المدينة المقدسة. كما تلفت الرواية إلى حسرة بيع وتسريب الأراضي في القدس، وكيف اتخذ جدّ ميّ قراراً عائلياً بتجريم بيع الأراضي إلى اليهود.

ثمّة خطّ آخر في الرواية، وهو خطّ تعلو فيه تشاؤمية الكاتب للوضع الحالي في فلسطين، تمثلت الكلمات على لسان أبطاله، أنهم لن يعودوا وأن كل ما بقي من ذكريات القدس ومفاتيح الديار القديمة لن يصبح إلا ذكرى ألم وفجعية. ولكن في المقابل، جاء على لسان ميّ، في كثير من المواضع، الندم لمغادرة القدس لا من أجل تحريرها، بل للموت فيها. كما جاءت في نصائحها لابنها طالبة منه أن ينسى الماضي، وألا يخون الحاضر، فتقوم بزيارة الأندلس وترفض زيارة القدس، لأن كل من تبقى فيها هم الأموات، وتتمنى لو ترحل ولو بروحها لأخذ حفنة من تراب القدس وتتوسّد بها كالدرأيش. يفتح هذا التناقض باباً لتساؤلات اليأس مقابل الأمل، والصراع بين المنفى والوطن، فضلاً عن خيار المقاومة والصمود في الأرض مقابل الاستسلام للمحتل.

عن صحيفة العرب

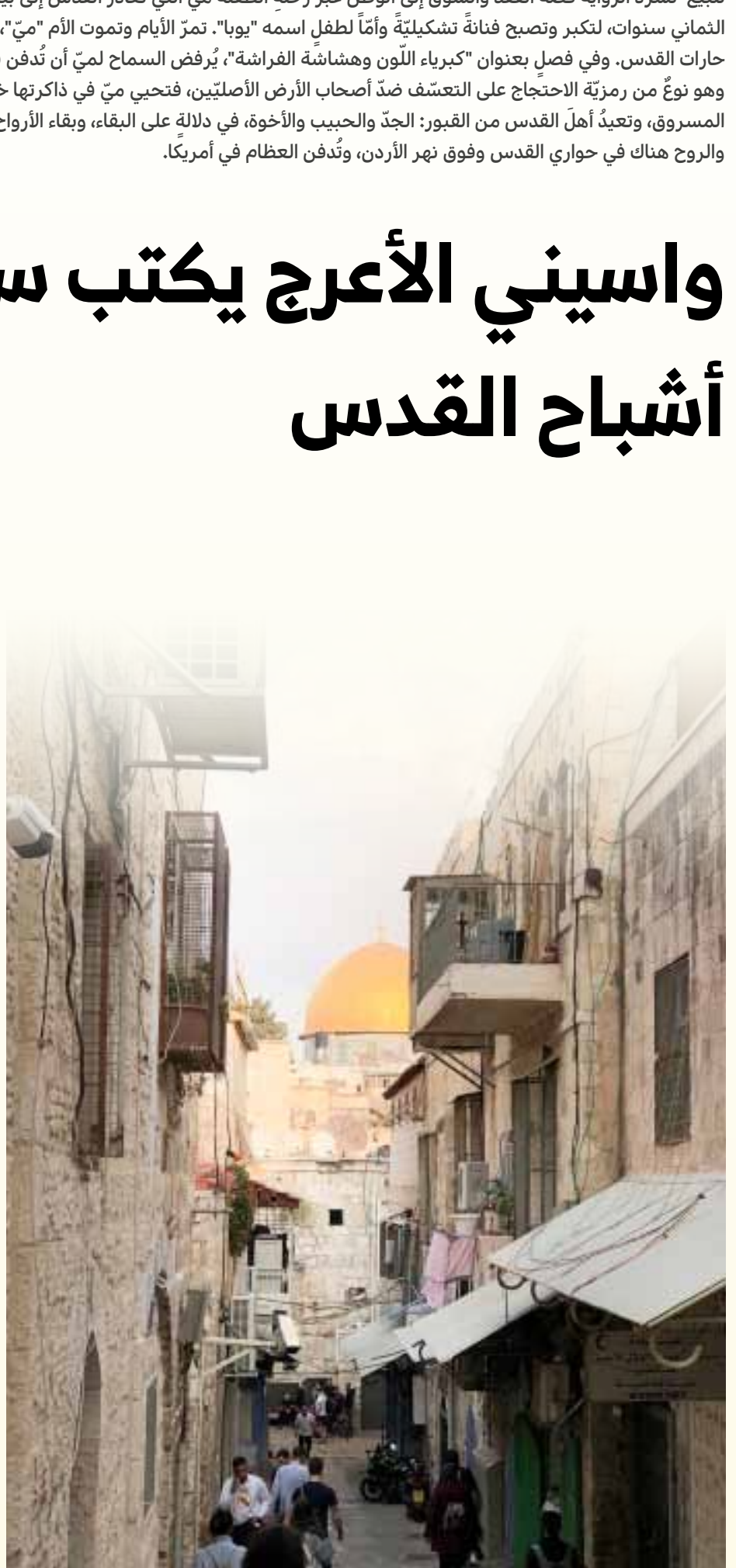
يوبا - الابن - لم يزر القدس أبداً إلا في مخيلته، زارها مرتين في الخيال، والثالثة ستكون لنثر رفات أمّه في حواري مدينتها القدس. في الفصل الأول، يسرد "يوبا" تخيالاته للقدس، إذ ألقى به جدّه إلى سوق المغاربة خلف حائط البراق، إلا أنّ جدّه "بوميديين لمغيث الأندلسي" خلد إلى النوم ولم يستيقظ أبداً، وقال الناس إنّ الرجل غادر من شدّة حزنه على القدس، متّجهاً نحو الأندلس ليموت ميتته الأخيرة هناك. يوظف واسيني الموشحات الأندلسية في هذه الرواية، وهو ما يمكن تفسيره ربطاً بين احتلال القدس وضياع الأندلس، كإحدى علامات الضعف والوهن في التاريخ العربيّ والإسلامي.

يكمل "يوبا" تخيالاته عن زيارته الثانية، لكن هذه المرة يزيّد "واسيني" من وصفه لأحياء القدس التي تعبرها روح أمّه في جوّ معيّن بالبارود. تدور ميّ من حارة إلى حارة، ومن زاوية إلى أخرى، مروراً بالحرم القدسيّ وقبة الصخرة والمسجد الأقصى، ومن باب الرحمة إلى حارة الشرفة، ومن ثمّ إلى حارة اليهود في الجزء الجنوبيّ الشرقيّ من المدينة، مروراً بحارة المغاربة وباب المغاربة، إلى حارة الأرمن وباب النبي داوود وجبل الزيتون، ثمّ الجزء الشمالي من المدينة، حيث حارة النصارى. تمرّ بجوار كنيسة القيامة والباب الجديد حتى حارة السعدية وحارة حطة. كل هذا وهي ترثّد "حذاري أن تكون مثل جرس معلق لكنيسة مهملة كلما مسّته يد تداعي أماً، ثمّ سكن إلى ألبه الأول، ثمّ تصرخ ميّ: "وجدتها.. وجدتها.. ألو ان القدس يا يوبا". يستيقظ يوبا من حلمه، ويفهم لماذا كان اللّون همّ أمه طيلة حياتها، ولهذا طالما قالت إنّ لون القدس "نتف أعماقها".

يستخدم واسيني الأعرج الوصف الدقيق لمدينة القدس، فروح ميّ تعرفها وتعرف يوبا عليها، حتى وإن غادرتها مذ كانت طفلة، في دلالة على ارتباط الروح بهذه الأرض المقدسية. كان واسيني مدركاً - منذ اللحظة الأولى في الرواية - أن كل من يغادر أرضاً يحتلها بالضرورة صدق آخر، مخالف له في كل شيء، حتى في نفسه وأحلامه.

لجأ الأعرج في روايته هذه إلى لغة شعرية للتعبير عن حالة الحزن والفقد التي تنتاب يوبا لأمه المتوفية، وجمع هذا مع جزن ميّ لفقدانها الوطن. وعلى مدار الرواية، سنذكر كيف سيلعب اللّون دور الرفيق في حياة ميّ، والذي يرمز به واسيني للسعادة داخل الوطن والمفقودة خارجه، إذ يؤكّد على لسان بطولته "الناس لا يدركون أننا لا نعود إلى أرضنا الأولى لنموت فيها فقط، ولكن لنعيش جزءاً جميلاً من العمر".

ولا تغيب الأكلات الشعبية الفلسطينية عن صفحات الرواية، حتى عندما تواجدت ميّ في نيويورك، فتتذكر صانع الفلفل عم أبو نجيب، وهو يمدح فلافله "يا الله يا فلافل! طعم الغنيّ والفقر، الصغبر





## فيروز... في القدس العتيقة أعطوها مزهرية



### كمال ديب

"مرّيت بالشوارع... شوارع القدس العتيقة قدام الدكاكين... اللي بقيت من فلسطين حكينا سوى الخيرية... وعطويوني مزهرية قالوا لي هيدي هدية... من الناس الناظرين" في العام 1955 وكان لها من العمر 20 عاماً، بدأت فيروز العمل مع إذاعة "صوت العرب من القاهرة" التي أسسها الرئيس جمال عبدالناصر في تلك الفترة. إذ إن تلك الإذاعة المصرية في ذلك العام وجهت دعوة لعاصي ومنصور الرحباني وفيروز بهدف التعاون (وكان عاصي وفيروز قد تزوجا باكراً في ذلك العام). وقّع عقد لمدة ستة أشهر مع مدير الإذاعة أحمد سعيد لتأليف أغنيات وأناشيد وبرامج إذاعية خاصة بالإذاعة.

طلب أحمد سعيد عملاً لا تخدم القضية الفلسطينية التي كانت حديثة العهد بعد نكبة فلسطين عام 1948. فاقترح منصور وعاصي أن تكون هذه الأغاني والأناشيد مرتبطة بفولكلور فلسطين فتعطي الناس زخماً للصمود والمقاومة بلهجة يفهمونها وجمل شعبية من تراثهم. فأعجبه الفكرة، ولإعطائهما فكرة عن الفولكلور الفلسطيني، عرض عليهما أرشيف الإذاعة، ومنه أغنيات فلسطينية بعضها عن غزة التي كانت تحت الإدارة المصرية وتعرض لغارات اسرائيلية متتالية. لم تلق هذه الأغنيات استحسان عاصي ومنصور اللذين وجداهما حزينة ولا علاقة لها برفع معنويات الناس. وقالوا لأحمد سعيد: "لا يمكن التعاطي مع قضية فلسطين هكذا، بل يجب استنهاض الهمم". وهكذا عوضاً من أغنيات الحزن والبأس، أنتج الرحباني عملاً جديداً ومتفائلاً هو مغناة راجعون بصوت فيروز ومعها الفنان المصري كرم محمود والكورس. وأضافا مجموعة من الأغنيات عن القدس وفلسطين بصوت فيروز.

ثم سجلها في بيروت مع ميشال بريدي. ويقول منصور: "ذات مساء في القاهرة وفي سهرة خاصة، قال لنا توفيق الحكيم والدكتور حسين فوزي: "بأعمالكم أنقذتما التراث العربي الكلاسيكي من البلادة". كما التقى الأخوان رحباني في القاهرة بملحنين مصريين انتقلت إليهم عدوى الأغنية اللبنانية القصيرة والكلمات اللبنانية التي دخلت الأغنية المصرية.

انتشرت أغنيات فيروز والرحباني عن فلسطين ونجحت بعدما بثتها الإذاعات المصرية واللبنانية والسورية لعدة أعوام وبقيت من الكلاسيكيات الخالدة وبخاصة بعد صعود العمل الفدائي الفلسطيني عام 1965. هذا التعاون مع إذاعة "صوت العرب من القاهرة" ثم مع "إذاعة دمشق" أظهر حساً عربياً عند الرحباني وافتتاحاً على محيط لبنان. فبعد حرب 1967 عمل عاصي ومنصور مع محمد عبدالوهاب على أناشيد جديدة لاستنهاض المقاومة الفلسطينية ضد الاحتلال الإسرائيلي كان أبرزها "حي على الفلاح":

"كورس: طول ما أملي معايا وفي أيدياً سلاح.. حافظل أجاهد وأمشي من كفاح لكفاح وطول ما أيدي في إيدك أقوم وأهتف وأقول.. حي.. حي.. حي على الفلاح عبدالوهاب: زاحف يا شعبي.. تحمي الماضي رباحك.. عهدك جوه في قلبي.. والبطولة جراحك.. وكذلك النشيد الوطني سواعد من بلادي تحقق المستحيل.. وهمة من بلادي تبني مصيرا وجيلا.. وانتشرت أغاني الرحباني عن المقاومة الفلسطينية حتى إن الصحافي في صحيفة "النهار" ميشال أبو جودة كتب في إحدى افتتاحياته أن الرحباني هم "آباء العمل الفدائي". أما شاعر فلسطين الأكبر محمود درويش فقد رأى أن الرحباني قدّموا للأغنية الفلسطينية أكثر من أي مبدع آخر. كما أن إذاعة صوت فلسطين من القاهرة التي مولتها مصر كانت تفتتح برامجها وتختتمها بأغنية "راجعون":

في الأمطار راجعون في الإعصار راجعون

يا ليلة الإسراء يا درب من مروا إلى السماء  
عيوننا إليك ترحل كل يوم وانتي أصلي...  
الطفل في المغارة وأمه مريم وجهان يبيكان...  
يبيكان لأجل من تشربوا...  
لأجل أطفال بلا منازل...  
لأجل من دافعوا واستشهدوا في المداخل...  
وحيث هوت مدينة القدس...  
تراجع الحب وفي قلوب الدنيا استوطن الحرب...  
لن يقلق باب مدينتنا فأنا ذاهبة لأصلي...  
سأدق على الأبواب وسأفتحها الأبواب...  
وسيهزم وجه القوة...  
البيت لنا والقدس لنا وبأيدنا سنعيد بهاء القدس".  
أعاد الأخوان رحباني وفيروز رفق الأغنية الوطنية، وتحديداً الأغنية الفلسطينية المقاومة، بدم جديد مخرجين إياها من الرثابة والرطانة. وملأوا مزهرية فلسطين بأزهار الأمل وورود المقاومة والإيمان ومياه الحياة.

عن جريدة النهار اللبنانية

في الشمس في الرياح في الحقول في البطاح  
راجعون راجعون راجعون

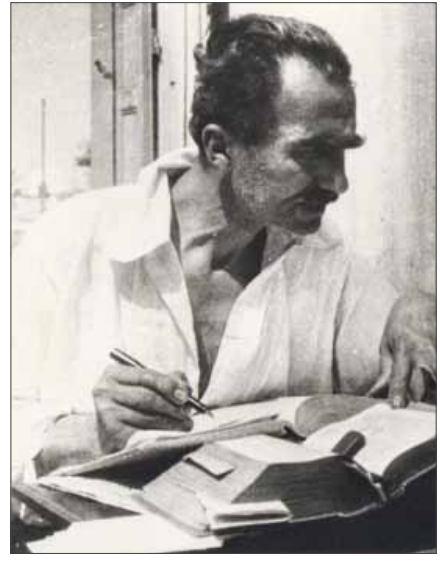
ذاع صوت فيروز بشكل عارم في سوريا أولاً ذلك أن السوريين وجدوا في فيروز مطربتهم الوطنية المفضلة. حتى إن أهل دمشق اعتبروا أغنية "نحن والقمر جيران" تخصصهم وكانها نشيد ثان لسوريا بعدما بدأت فيروز سلسلة حفلاتها في معرض دمشق الدولي ابتداءً من 1959. كما قدّمت قصة تاريخية للأردن هي بترا في مهرجان جرش. لا أظن أن أيّا من الناس لا تتحرك مشاعره ويهتف وجدانه بقوة عندما يسمع فيروز في أغاني فلسطين: خذوني إلى بيسان... "كان لنا من زمان بياراً جميلة وضبعة ظليلة.. ينام في أفيائها نيسان.. صصعنا كان اسمها بيسان.. خذوني إلى بيسان إلى ضيعتي الشتائية" وأغنية بعدنا، "بعدنا.. من يقصد الكروم.. من يملأ السلال.. من يقطف الدوالي؟" وأغنية زهرة المدائن: عيوننا إليك ترحل كل يوم...  
تدور في أروقة المعابد...  
تعاقد الكنائس القديمة وتمسح الحزن عن المساجد..

## رحلة كازانتراكيس إلى فلسطين

### د. حسيب شحادة

نيكوس كازانتراكيس، رحلة إلى فلسطين، أخطر وثيقة ضد الصهيونية يكتبها روائي ومفكر عالمي في أوائل هذا القرن. ترجم هذا الكتاب غير العادي إلى العربية منية سمارة ومحمد الظاهر وصدر في عمان عن مؤسسة خلدون عام 1989 وفيه 85 ص. كانت صحيفة يونانية قد أهدت هذا الروائي اليوناني المعروف إلى فلسطين عام 1926 لتغطية احتفالات عيد الفصح في القدس. من مؤلفات هذا الروائي الكبير نذكر: تقرير إلى غريكو، الامتحان الأخير للمسيح، الوجد اليوناني، الحرية أو الموت، الأوديسا المعاصرة، موسى، زوربا، مخلصو الرب، آراء.

كانت كنيسة القيامة تعج بالناس كخليفة نحل، العرب المسيحيون منغلطون ويصيحون ويصعدون إلى السطوح القرميدية وهم يرتدون الطرابيش والجلابيب. وآخرون قضوا ليلتهم على حصر من القس والكل تواقون لمشاهدة النور الرباني. وكانت أباريق الماء الرمادية المزركشة والمشروبات الروحية والشربات تنتقل من يد لأخرى وتحت الإيقونات كانت أباريق القهوة تغلي على المواقد المتحركة والإمهات يرضعن أولادهن ورائحة العرق الكريهة منتشرة لتختلط بروائح الشموع المشتعلة والزيت، وكل هذا يبعث على الغثيان. وجاء الأرمن والإقباط والأجاسس ورجال البدو والموارنة وبعض الرُيس والأمريكيين. والخلاف بين الطوائف المختلفة في كنيسة القيامة كان قائماً وواضحاً في ذلك الوقت أيضاً. ويصف الكاتب الرجال العرب قائلاً "طوال الغامة، نحيلون، رشيقون، أما النسوة فسمينات، قبيحات، تتدلى على جباههن صفوف من القطع الذهبية، وشفاهن تبرق بالنحاس". ويصف الكاتب ما شاهد في مسجد عمر من كتابات عربية بأن حروفها مجدولة كالأزهار وتلف حول الأعمدة كأشجار الكرم المنسلفة. وهذا المسجد ينبض



يقول الروائي اليوناني "إنكم لن تجدوا السعادة والأمن في فلسطين... لكن، إذا كان الهدف من الحياة، وهدف الشعب بشكل خاص، أصعب من ذلك بكثير، وهو أن يناضل من أجل إحداث أقصى ما يستطيع من تغيير في سلوكه، وتفكيره، وقيمه الجمالية، وأن يسمو على عذابات، عندها، وبلا جدال، تكون الحركة الصهيونية منافية ومناقضة للمصالح العليا لجنتسكم اليهودي".  
ويضيف الكاتب أن لكل شعب مناقبه ومثالبه وعبويه الخاصة به وعليه فليديه وسيلته هو لبلوغ النروة ويتمتع اليهود بمثل هذه الخاصية، عدم الراحة وعدم التوافق مع حقيقة الزمن والكفاح للهرب واعتبار كل تمثال وكأنه سجان وكل فكرة بمثابة سجن خانق. وعبر هذه الخاصية الحادة لديهم "صانوا الجنس البشري من المساعي المدبرة للثقافة وراحة البال". ومن خلال هذا الوضع الذي لا خلاص منه تمكنت الروح اليهودية تحطيم التوازن والدفع قدما نحو التكامل والارتقاء وإثارة الفخر في الحياة؛ وهذه الروح لا تعرف التوقف والقناعة، إنها تنتقل من النبات إلى الحيوان ومنه إلى الإنسان فتعذبه وكأنها تود تفجيرها للوصول إلى أبعد من ذلك. ثم يستطرد هذا الروائي المفكر قائلاً إن اليهود اكتسبوا فعل الثورة نتيجة تاريخهم الدياسبوري، اضطهاد وظلم وقلق ورعب وقتل ونفي وتشتت. كل ذلك باق راسخاً في النفسية اليهودية والشتات هو وطن اليهود لا محالة فلا جدوى من الهرب من هذا القدر المحتوم والبحث عن أمل وسعادة في فلسطين. ويختتم كازانتراكيس كتابه، تقريره عن رحلته إلى فلسطين، بهذه الكلمات ذات المعنى الغريب العجيب بالنسبة للكثيرين اليوم:  
"أمل - لأنني أحب اليهود - أن يتمكن العرب، عاجلاً أم آجلاً من طردكم من هنا، وأن يعيدوا تشيبتكم في هذا العالم"، كتب هذا عام 1926.

عن الحوار المتمدن

صوب الرجال، وكان لسان حالها يقول لا شيء غير الحب قادر على حماية الذرية وزيادة اليهود وإعادة بناء الهيكل. ويذكر الكاتب أناساً من جنسيات وأماكن مختلفة قدموا لمدينة السلام للاشتراك في هذا "الطقس البكائي الغريب" مثل البولنديين والعراقيين والروس والإسبان واليونانيين والجزائريين. وعن الروح اليهودية يقول إنها تنوي قهر الأرض وجعل كل الشعوب تابعة لإيقاعها.  
وفي جولته في الصحراء، ما بين القدس ونهر الأردن، لم تر عيناه زهرة واحدة ولا أي طير أو ورقة خضراء ولا قطرة ماء تتبخّر من تلك الأرض القاحلة، الجبال موحشة، فيها الغراب ينعب، والتعاليب تعوي ليلاً، موطن مثالي للأنبياء والمتقشفين لا لبني البشر العاديين. أما أريحا فواحة غناء، حيث بساتين الرمان والموز والتين والتوت، محاطة بأشجار النخيل السامقة، مناظر مماثلة لهذه رآها كازانتراكيس في حيفا والخليل، ويذكر نقشي مرض الحمى. في العصور التوراتية كانت فلسطين بلاد اللبن والعسل وقطوف العنب ضخمة لدرجة أن اثنين كانا يحملان القطف الواحد، أما في حينه جلب العرب، على حد قوله، صحراءهم المروثة معهم.  
ومما قاله حاخام ثري للكاتب:  
"كل إنسان يحمل على عاتقه مهمة حقيقية تتعلق بالأشياء التي يجب عليه أن يحرقها: عليه أن يحرق حيواناته، أرضه، أدوات تجارته، جسده، وعقله. إن عليه واجب تحرير كل هذه الأشياء. لكن كيف؟ عن طريق استعملها وتهديتها وتطويرها، فإذا لم يستطع تحريرها، فلن يكون بإمكانه تحرير نفسه، كذلك فإن لكل شعب مهمة رئيسية تتعلق بالأرض، والموروثات والأفكار، وهذه الأشياء يجب أن تحترق. فإذا أرادت أن تحترق، فيجب أن يمتلك الشعب اليهودي فلسطين". وفي رحلته إلى حي شعفاط يذكر أضرحة لليهود هناك، أما قرية الياسمينية الصغيرة والقرية فكانت غارقة في الظلام. وفي محادثته مع شابة يهودية باسم جوديت قدمت إلى البلاد من أوروبا



# شيء عن الرصافي في القدس سنة ١٩٢٠

رفعة عبد الرزاق محمد



كتب الكثير عن شاعر العرب الكبير معروف الرصافي، وتناول الكتاب جوانب مختلفة من سيرته وشعره، وعلى الرغم من كثرتها وتنوعها فقد بقيت حلقات مهمة من حياة شاعرنا، بعيدة عن اقلام الكتاب وتحقيقاتهم لأسباب كثيرة، كما ان بعض كتابنا الافاضل، ابتعد - بقصد - عن الحديث حول موضوعات معينة في حياة الرصافي درءا للتقولات (كذا)، مع ان الرصافي عاش ومات فوق الشبهات وبعيدا عن كل مايشين وطنيته وحبه لوطنه وامته، فضلا عن ان حياته صارت ملكا للتاريخ ومجردة من الحساسيات الشخصية.

ومن هذه الموضوعات حياته في فلسطين وقصيدته الذائعة التي القاها في القدس سنة ١٩٢٠، وما اثير حولها من شبهات، ومقالنا محاولة اولية، لبيان (حقائق) و(طرائف) من حياة الرصافي في القدس، وكشف بعض الصفحات المطوية منها. انتهت الحرب التوفيقية الاولى، وانهار الحكم العثماني في بلاد الشام والعراق، وتأسست دولة عربية في سورية ترأسها احد انجال الشريف حسين هو الامير فيصل وفي هذا الوقت كان معروف الرصافي في اسطنبول، فسر سرورا كبيرا لقيام الدولة العربية وشعر بأن منصبها كبيرا في هذه الدولة العربية ينتظره، لانه كان شاعر العرب وقصائده في العرب وامجادهم سارت بين الناس مسار الامثال، لكنه لم يفز بما كان يأمله، ولم يظفر بشيء يسير. لقد لقي من الحكومة العربية في الشام اعراضا بسبب موقفه المعارض لثورة الشريف حسين سنة ١٩١٦ ونظمه قصيدته الميمية (الديوان / ٣ / ٥٩). واكاد اعتقد بأن حاشية الملك هي التي لعبت دورا كبيرا في عدم الاهتمام بالشاعر العربي الكبير، وربما اسروا للملك ما يذكره بأن هذا الشاعر كان قد تعرض لابيه في مناسبات سابقة، واصيب الرصافي بخيبة امل كبيرة، وأحس بالضيق واليأس، ولما كان شاعرنا من الذين فطروا على عدم الاستجداء والترجع عن مواقفه السياسية، فقد قرر العودة الى وطنه العراق.

وفي غمرة استعداده الى العراق، وصلته دعوة كريمة لم تكن في الحسبان، ان تدارك امره اصداؤه في فلسطين، اسعاف الناشاشيبي وخلييل السكاكيني وعادل جبر، وكانوا يومئذ يتولون امر التعليم في فلسطين فترامت الى اسماعهم اخبار صديقهم الرصافي فدعوه للتدريس في دار المعلمين بالقدس، فوافق على دعوتهم ووصل القدس يوم (٣ آذار ١٩٢٠) واصاب في وظيفته الجديدة بعض الراحة والاستقرار، حيث خصص له راتب قدره ثلاثون جنيها، وسكن لائق في احد اجنحة دار المعلمين، وقد ذكر هذه الحقيقة رفائيل بطي (ت ١٩٥٦) نقلا عن اسعاف الناشاشيبي (مجلة القلم الجديد العمانية، ايار ١٩٥٣).

عاش الرصافي في القدس في دعة ورخاء، محاطا بعناية اهله الكرام وهو القائل:

اصبحت بالقدس في امن وفي دعة وكدت من قبلها في الشام اعتقد

(الاعتقاد: ان يغلق الباب عليه فلا يسأل احدا حتى يموت جوعا وكانوا يغلطون ذلك ايام الجذب). ومن مظاهر هذا الرخاء، قيام طلبة مدرسة الشبان في القدس بتكريم الرصافي في حفل ادبي رقيق (الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني، كامل سوافيري ص ٢٧). وقد اقتنت نظارة المعارف في فلسطين الف نسخة من ديوان الرصافي الموسوم (الاناشيد المدرسية) الذي نظمها في القدس على اقتراح الدكتور خليل طوطح، وكان يستشير بعض الموسيقيين قبل ان يبدي له موضوع النشيد لينسجم اللفظ والنغم، كما افادنا استاذنا عبد الحميد الرشودي (ذكرى الرصافي، بغداد ١٩٥٠، ص ٨٤) وقد بقي الرصافي يذكر باجلال واعجاب كبيرين حفاوة الفلسطينيين:

قد كان في الشام لا يلام مذ زمن نذب محته الليالي في فلسطين  
اذ كان فيها الناشاشيبي يسعفني وكنت فيها خليلا للسكاكيني

تريد النيل من راغب الناشاشيبي من فوق راس الرصافي لاسباب حزبية ضيقة. كما ضويق الرصافي وهو الرجل الحساس. وقد نشر عادل جبر في جريدة (فلسطين) كلمة بين فيها ما للرصافي من حسن مقصد، و حصر المجاملة بمقتضاها لا اكثر ونوه بمواقف الرصافي في سبيل العرب من ايام الاستانة، فتلاشت العاصفة ولكن اثرها المر بقي في نفس الرصافي (...)

ونستدرك على مقاله الاستاذ الكبير عجاج نويهض مؤرخ الحركة الوطنية الفلسطينية ان جريدة (الفباء المقدسية)، بأن نشرت قصيدة الرصافي غير كاملة، مما اثار بعض من عد ذلك غريبا في بابيه، حتى ان احد الذين ردوا على الرصافي اظهر ندمه الى العلامة الشيخ عبد القادر المغربي وقال: ان الذنب نذب مراسل (الفباء) الذي لم ينشر القصيدة كاملة من اول الامر فلم نعرف ما قاله الرصافي فيها (رسالة المغربي الى الرصافي نشرها الرشودي في رسائل الرصافي).

وبسبب هذه الضجة التي اثيرت ضد الرصافي، نكر بعض الكتاب ان الرصافي فارق القدس مضطرا. والحقيقة ان الضجة لم تكن سوى (زوبعة في فنجان) كما يقولون، فسرعان ما انتهت وتلاشت آثارها. وفارق الرصافي القدس لسبب اخر لايتعلق بالحادثة باي شكل من الاشكال، فقد ذكر الرصافي فيما بعد الى صديقه الاستاذ كامل الجادرجي، ما فحواه انه تلقى برقية من صديقه حكمة سليمان يدعوه فيها للعودة الى العراق لاسباب وطنية. وتبين ان جهة من السياسيين العراقيين المتنفذين حول طالب النقيب وزير الداخلية في الوزارة العراقية المؤقتة، ارادت اصدار جريدة سياسية لتكون لسان حال الجبهة التي نادت بفكرة (العراق للعراقيين).

ولما وصل الرصافي الى بغداد في التاسع من نيسان من السنة التالية، بعد انتهاء مؤتمر القاهرة الذي تقرر فيه توجيه عرش النقيب الى الامير فيصل بن الحسين وجد ان طالب النقيب قد انتهى سياسيا بنفيه الى خارج العراق وتشنت مؤيديه وموت المشروع في مهده. وقبل بوظيفة (نائب رئيس لجنة التعريب) التي سرعان ما سئم منها لاعتقاده انها وظيفة وهمية ابت كرامته ان يستمر بها ...

وبعد فهذه صفحة منسية من حياة الشاعر الكبير الرصافي، لم يشر اليها الكتاب الا عرضا، كتبتتها وصولا الى غاية رئيسية، هي دفع الشبهة التي رده البعض بلا ترو وتحقيق.

اشياء غير مفهومة وكاد يمتقع لون وجهه، ومغزى صموئيل اوضح من ان يوضح، اذ مراده ان اليهود عائدون الى فلسطين عودة الاسبان الى اسبانيا.

وذهب كل الى بيته، واعتكف الرصافي في غرفته الخاصة في دار المعلمين، واستبد به القلق في تلك الليلة، وفي الصباح استفاق على قصيدة رد فيها على مغزى ما قاله صموئيل في اليوم السابق ولكنه، وهو شاعر حر، وليس سياسي يالف الروغان، رد على المجاملة بمثلها، وبعد ذلك قال كأنه جزء من النبوذة السياسية ومنها هذا البيت:

ولكننا نخشى الجلاء وننقى سياسة حكم يأخذ القوم بالقهر

وبعد سبع وعشرين سنة شاء الله امتحانا للعرب ان تتحقق هذه الرؤيا... وسرعان ما اثيرت على الرصافي عاصفة هوجاء احتجاجا على مقاله من ابيات مجاملة. والصحيح ان ابيات المجاملة هذه كانت زائدة على المقدار، ولم ينتبه الرصافي الى مافي ذلك من شطط لايفسر بانه ضرب من ضروب المجاملة، ولكن العاصفة التي اثيرت عليه لم تكن تخلو هي الاخرى من شطط، لانها كانت

وكان فيها ابن جبر لايقصر في جبر انكسار غريب الدار محزون

واوحت فلسطين للرصافي بعدد من القصائد، هي: في سبيل الوطن، في ايلياء، دار الايتام، الحمد للمعلم، تحية سركيس. وخلال وجوده في فلسطين، نشرت الجرائد مقالا لشكري غانم القيم في باريس صرح فيه بالترؤ من الامة العربية، فغضب الرصافي وظهرت غضبته في قصيدته (صبح الاماني) ورد على المقال ردا لمزيد عليه (الديوان / ٣ / ٩١) وعندما القى القائد الفرنسي (غورو) خطابه الشهير الذي تضمن روح التشفي والحقد على العرب، نظم الرصافي قصيدة لتسفيه الخطاب، سماها: العصبية في عصر المدنية (الديوان / ٣ / ٩٩). ومما هو طريف ان نذكر هنا، ان الاستاذ سعيد العيسى ذكر ان الرصافي والنشاشيبي والسكاكيني وجبر، كانوا يسلمون كل ليلة في بيت السكاكيني، حيث تهيب لهم ربة البيت (ام سري) اسباب الراحة وقد ظلت صورتها وعليها بيتان للرصافي معلقة في صدر صالون السكاكيني في القدس، حتى حلت النكبة في فلسطين..

أم سري انت سلطانة اليها اطاعك منه ما عصى الناس اجعما

ولم ينقصا في محاذ ياك ناظري سوى ان كل الحسن فيه تجمعا

في اواخر سنة ١٩٢٠ جاء القدس مستشرق يهودي اسباني يدعى (بن يهودا) وحل ضيفا على (هربرت صموئيل)، المندوب السامي في فلسطين، وقد القى هذا المستشرق محاضرة موضوعها (ماضي العرب في الاندلس) حضرها عدد كبير من اهالي المدينة، تزعمهم راغب الناشاشيبي رئيس البلدية، ولكي لاينحاز مقالنا الا الى الحقيقة وحدها نسوق ما رواه شاهد ثبت لهذه الحادثة التي ردها خصوم الرصافي في اكثر من مناسبة، وشاهدنا هو الاديب الكبير عجاج نويهض، وقد نيهنا الاستاذ الفاضل عبد الحميد الرشودي الى امر نويهض ومقاله (الرصافي كما عرفته) المنشور في العدد الرابع من مجلة (الفكر العربي)، فلنطلع على بعض ما جاء فيه:

((... وكان الرصافي والسكاكيني وعادل جبر يجلسون معا في صدر القاعة وانتهت المحاضرة وليس فيها مما ينتقد شيء يذكر، غير ان الخيرية اخذت تدب عقاربها من فم هربرت صموئيل، لما نهض يشكر المحاضر والحضور والمحاضرة، ثم اخذ يتطرق الى ماكان في رأسه وينقر نقرات حساسة هي عنده بيت القصيد، ومما قاله صموئيل: والان مالنا وللذهاب الى الاندلس لنرى اثار العرب، فهنا في فلسطين نجد من اثارهم الناطقة بحضارتهم ما ينطبق على صحة الكلام للمحاضر. قتلك بلاد كانت لاسبان فقدمها ثم عدوا اليها. قال لي عادل جبر ما استطاع نقله بتمام جروقه تقريبا: لما نطق صموئيل بهذه العبارة، حار الرصافي وهو بين السكاكيني يتكهرب ويتململ، ثم راح يدمدم







manarat

WWW. almadasupplements.com

رئيس مجلس الإدارة  
رئيس التحرير

عزى ريم



رئيس التحرير التنفيذي  
علي حسين

سكرتير التحرير  
رفعة عبد الرزاق

الخراج الفني  
علي كاطع



طبعت بمطابع مؤسسة (م) للاعلام

والثقافة والفنون

# أدباء نوبل الذين تخشاهم إسرائيل



هارولد بنتر



جوزيه ساراماجو



ماريو فارغاس يوسا



توني موريسون

إسلام عبد الوهاب

د

مع رحيلهم، خسرت القضية الفلسطينية كتاباً عالميين مناصرين لها مثل البرتغالي "جوزيه ساراماجو"، والشاعر النمساوي "إريش فريد" Erich Fried، والمسرحي البريطاني "هارولد بنتر"، لكن كتاباً آخرين لا يزالون إلى اليوم يؤمنون بحق الفلسطينيين في مواجهة الجرائم الإسرائيلية، غير متخوفين من تهمة معاداة السامية الجاهزة.

ع

يوسا، صديق إسرائيل الذي تنصل منها وشعر بالعار تجاهها صدمة كبيرة تلقتها إسرائيل من الكاتب "ماريو فارغاس يوسا"، الذي كانت تتباهى بكونه صديقاً لها. صاحب جائزة نوبل للآداب عام ٢٠١٠ قال عن إسرائيل "أصبحت إسرائيل دولة قوية ومتعجرفة، وإن دور أصدقائها أن ينتقدوا سياساتها بشدة"، مؤكداً أنه يشعر بالخجل لكونه صديقاً لها.

زار "يوسا" مع ابنته مورجانا فلسطين في عام ٢٠٠٥، وسجل انطباعاته في كتاب بعنوان "إسرائيل. فلسطين: سلام أم حرب مقدسة؟". لقي الكتاب ردود فعل مختلفة بين الجالية اليهودية في أميركا اللاتينية. يقول يوسا عن رحلته: "ليس بإمكان أحد أن يتهمني بأحكام مسبقة ضد إسرائيل، فلقد دافعت دائماً عن إسرائيل. لكنني شاهدت الأمور بأم عيني وشعرت بالاشمئزاز والتمرد على البؤس الفظيع الذي لا يوصف، شاهدت القمع لأناس بلا عمل ولا مستقبل ولا مجال حيوي، يعيشون في مغارات ضيقة لا تطاق في مخيمات اللاجئين أو في المدن المكتظة المغطاة بالقمامة، حيث تسرح الجردان على مشهد من المارة الصابرين، إنها الأسر الفلسطينية المحكوم عليها بالعيش كالنبات بانتظار الموت، لتضع حداً لوجود بلا أمل، في اندماد قاطع لما هو إنساني".

توني موريسون، السمرية التي حاربت العنصرية في أمريكا وإسرائيل "أنا لا أكتب انتقاماً من العنصرية بل لتغيير اللغة إلى لغة لا تنتقص من الناس" هذه كلمات الكاتبة الأمريكية توني موريسون ذات الأصول الأفريقية والتي فازت بجائزة نوبل للآداب عام ١٩٩٣، وكروست حياتها لرفض العنصرية تجاه السود في المجتمع الأمريكي. "دولة فصل عنصري" هذا ما وصفت به "موريسون" دولة إسرائيل موقعة على رسالة بالاشترار مع ١٧ كتاباً آخر في عام ٢٠٠٦. نددت الرسالة بالإبادة الجماعية التي ترتكبها إسرائيل في حق الفلسطينيين، ووصفت عدوان إسرائيل على فلسطين بأنه احتلال غير شرعي. تعد الرسالة من أقدس الرسائل التي وجهت إلى إسرائيل من قبل كتاب عالميين.

وول سوينكا، النيجيري الذي طالب بمقاطعة "إسرائيل" سافرت إلى القدس وعاشت معاناة الفلسطينيين الذين يتجرعون يومياً الإذلال ومحاولات تحويلهم إلى القيمة صفر، وسلبهم القدرة على حماية أنفسهم وترائهم وسلبهم الأمن. صاحب هذه الكلمات هو الكاتب النيجيري وول سوينكا "الحاصل على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٨٦"، والذي كانت أغلب كتاباته ضد التمييز العنصري في أفريقيا، يعتبر سوينكا أن إسرائيل تمارس سياسة التمييز العنصري ضد الشعب الفلسطيني.

"الأرض ليست من وسائل الترف. توجد علاقة عاطفية بين الناس والأرض هذا ما قاله "سوينكا" عن الصراع الفلسطيني الإسرائيلي مطالباً المثقفين في شتى أنحاء

العالم بمقاطعة إسرائيل "يجب فعل شيء ما، هناك حاجة لأن نفهم إسرائيل أن سلوكها غير مقبول، ويجب على الأكاديميين أن يكونوا في طليعة المطالبين بالمقاطعة الثقافية والرياضية والاقتصادية".

جونتر جراس، الرجل الذي سئم من نفاق الغرب لإسرائيل لا يميل من مهاجمة إسرائيل، هذا هو حال الروائي والشاعر الألماني "جونتر جراس الحاصل على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٩٩. كتب قصيدة بعنوان "ما ينبغي أن يقال، ضد السياسة الإسرائيلية في عام ٢٠١٢. "ماذا أنزع نفسي من تسمية ذلك البلد الأحمر، الذي يمتلك منذ سنوات- رغم السرعة المفروضة- قدرات نووية متنامية، لكن خارج نطاق السيطرة، لأنه لا توجد إمكانية لإجراء المراقبة، السكوت العام عن هذا الواقع، الذي أنطوى تحته صمتي، أحسه الآن كذبة ثقلي، وإلزاماً في الأفق تلوح عقوبة لمن يتجاهلها، الحكم المؤلف: معاداة السامية".

هذا جزء من قصيدته ضد إسرائيل وقد ترجمتها ريم النجمي. على أثرها وجهت له انتقادات كثيرة، لكنه كان يرد دائماً سئمت من نفاق الغرب لإسرائيل.

لو كليزيو، الروايات أيضاً تنتصر للقضية الفلسطينية مشبوّه ومعاد للسامية" هكذا وصفت الأوساط الإسرائيلية الروائي الفرنسي "جان ماري جوستاف لو كليزيو"، الحاصل على جائزة نوبل للآداب عام ٢٠٠٨، بعد روايته "النجمة التائهة" التي كتبها في مجلة الدراسات الفلسطينية (الطبعة الفرنسية)، وصدرت كاملة في ١٩٩٣.

عن المصري اليوم

# بكيت حتى انتهت الدموع

نزار قباني

## في القدس

محمود درويش



من يحمل الألعاب للأولاد؟

في ليلة الميلاد..

يا قدس، يا مدينة الأحزان

يا دمةً كبيرةً تجول في الأجفان

من يوقف العدوان؟

عليك، يا لؤلؤة الأديان

من يغسل الدماء عن حجارة

الجدران؟

من ينقذ الإنجيل؟

من ينقذ القرآن؟

من ينقذ المسيح ممن قتلوا المسيح؟

من ينقذ الإنسان؟

يا قدس.. يا مدينتي

يا قدس.. يا حبيبتي

غداً.. غداً.. سيزهر الليمون

وتفرح السنابل الخضراء والزيتون

وتضحك العيون..

وترجع الحمام المهاجرة..

إلى السقوف الطاهرة

ويرجع الأطفال يلعبون

ويلتقي الأباء والبنون

على رباك الزاهرة..

يا بلدي..

يا بلد السلام والزيتون

بكيت.. حتى انتهت الدموع

صليت.. حتى ذابت الشموع

ركعت.. حتى ملني الركوع

سألت عن محمد، فيك وعن يسوع

يا قدس، يا مدينة تفوح أنبياء

يا أقصر الدروب بين الأرض والسماء

يا قدس، يا منارة الشرائع

يا طفلةً جميلةً محروقة الأصابع

حزينةً عينك، يا مدينة البتول

يا واحةً ظليلةً مر بها الرسول

حزينةً حجارة الشوارع

حزينةً ماذن الجوامع

يا قدس، يا جميلةً تلتف بالسواد

من يقرع الأجراس في كنيسة

القيامة؟

صبيحة الأحاد..



في القدس، أعني داخل السور القديم،

أسير من زمن إلى زمن بلا ذكرى

تُصوِّبني. فإن الأنبياء هناك يقتسمون

تاريخ المقدس... يصعدون إلى السماء

ويرجعون أقل إحباطاً وحزناً، فالمحبة

والسلام مُقدَّسان وقادمان إلى المدينة.

كنت أمشي فوق مُنحدر وأهجس: كيف

يختلف الرواة على كلام الضوء في حجر؟

أمن حجرٍ شحيح الضوء تندلع الحروب؟

أسير في نومي. أحملق في منامي. لا

أرى أحداً ورائي. لا أرى أحداً أمامي.

كلُّ هذا الضوء لي. أمشي. أخف. أطيّر

ثم أصير غيري في التجلي. تنبّت

الكلمات كالأعشاب من فم أشعيا

النَّبوي: ((إن لم تؤمنوا لن تأمنوا)).

أمشي كأنني واحدٌ غيري. وجرحي وردة

بيضاءً إنجيليةً. ويدي مثل حمامتين

على الصليب تحلقان وتحملان الأرض.

لا أمشي، أطيّر، أصير غيري في

التجلي. لا مكان ولا زمان. فمن أنا؟

أنا لا أنا في حضرة المعراج. لكني

أفكر: وحده، كان النبي محمد

يتكلم العربية الفصحى. ((وماذا بعد؟))

ماذا بعد؟ صاحت فجأة جنديّة:

هو أنت ثانية؟ ألم أقتلك؟

قلت: قتلتنني... ونسيت، مثلك، أن أموت

